﴿وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [النمل: 53]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

دفـــعُ تـوهُّـم شمول العذاب للمؤمنين بيانٌ ربانيٌّ متين

لمّا أخبر سبحانه في الآية السّابقة أنَّ بيوتَ ثمودَ أصبحت خاويةً نتيجة تدميرهم وقومَهم أجمعين، وكان ذلك ربّما أوهمَ أنَّ الهلاك عمَّ الفريقين الكافرينَ والمؤمنين؛ قال تعالى مُبيّنًا حال المؤمنين: ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ بعظمتِنا ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ وهم الفريق الّذين كانوا مع صالح ﷺ كلُّهم، ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَأَنجَيْنَا﴾: (نجو) أصلُ النَّجاء الانفصالُ مِنَ الشَّيء، ومنه: نَجا فلانٌ من فلانٍ وأَنْجَيْتُهُ ونَجَّيْتُهُ[2]. والنَّجاةُ الخَلاصُ ممّا فيه المَخافَة، ونَظيرُها السَّلامَة، والتَّنجيةُ: الإنجاءُ وهو جعلُ الغَيرِ ناجيًا[3]. والنَّجْوَةُ والنَّجاةُ: المكانُ المرتفعُ الذي تظنّ أنَّه نَجاؤُكَ لا يعلوهُ السَّيل[4]. والمقصودُ في الآية: الخلاصُ مِنْ ضُرٍّ واقِعٍ.

2) ﴿يَتَّقُونَ﴾: (وقى) أَصلُ الوِقايةِ دَفْعُ شيءٍ عن شيءٍ بغيرِه، يُقالُ: وقَى نَفْسَهُ مِن العَدوِّ بِسِلاحِه، أيْ: دَفَعَهُ بِه. واتَّقِ اللّه: تَوَقَّهُ، أَي: اجْعَلْ بَيْنَكَ وبَيْنَهُ كالوِقايَة[5].والمُتَّقي: مَن اتَّصَفَ بِالاتِّقاءِ وهو طَلَبُ الوِقايةِ، وهو الحَذرُ المُتطلِّبُ للنَّجاةِ من شيءٍ مكروهٍ مُضِرٍّ[6]. والتَّوقّي: الحَذَرُ. والاتِّقاءُ: تُكَلُّفُ الوقايَةِ وهي الصَّونُ والدَّفْعُ[7]. والمقصود بالوقايةِ في الآية: حفظُ الشَّيءِ ممّا يُؤذيه ويَضرُّه.

---

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 180.
(2) الراغب، المفردات: (نجو).
(3) الزبيدي، تاج العروس: (نجو)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.
(4) الجوهري، الصحاح: (نجا).
(5) ابن فارس، مقاييس اللغة، والسمين الحلبي، عمدة الحفاظ: (وقى).
(6) السمين، عمدة الحفاظ: (وقى)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 1/ 226.
(7) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 393.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

سنّةُ الله إهلاكُ الظّالمين وإنجاءُ المؤمنين المتّقين

يقول الله تعالى: وأنجَيْنا مِن سَخَطِنا وعَذابِنا صالِحًا والمؤمِنينَ به مِن قَومِه، الَّذين كانوا يَتَّقونَ سَخَطَ اللهِ وعذابَه، ويَتجنَّبونَ الشِّركَ والمعاصيَ، ويَعمَلونَ بطاعةِ اللهِ تعالى ويخافونَه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالةُ (الواو) في قوله: ﴿وَأَنجَيْنَا﴾:

رحمةُ الله بالمؤمنين متلازمةٌ مع إرادته العذابَ بالمعذَّبين

(الواو) في قوله: ﴿وَأَنجَيْنَا﴾ هي واوُ العطف، عطفَتْ هذه الجملةَ في الظّاهر والمفردةَ في الحقيقة على سابقتها ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ﴾، والمعنى: فانظُرْ كيف كان عاقبةُ مكرهم تدميرَهم وتعذيبَهم بمكرنا في جانبهم، وانظُرْ كيفَ كان عاقبةُ مكرنا بجانب المؤمنين إنجاءَهم من ذلك العذاب والدّمار؛ فيكونُ المكرُ البشريُّ قائمًا على مجرّد الإهلاك، بخلاف المكر الربانيّ فإنّه إهلاكٌ للظّالمين وإنجاءٌ للمتقين، والغرض من العطف رفعُ توهُّم أنَّ هلاكَ الاستئصالِ قد شملَ المؤمنين أيضًا، ولا يبعد أن تكون الواو استئنافية لبيان حال المؤمنين بعد بيان حال الكافرين لتحقيق غرض الاحتراس أيضًا.

سرُّ التعبير بـ(النّجاة) دونَ غيرها:

التخليصُ الكاملُ من العذاب عنايةٌ ربانيّةٌ عظيمة

النَّجاةُ الخَلاصُ ممّا فيهِ المَخافَة، وهي نَظيرُ السَّلامَة، والتَّنجيةُ: الإنجاءُ، وهو جعلُ الغَيرِ ناجيًا[2] وأصلُ النَّجاء: الانفصالُ مِنَ الشَّيء، ويقال للمكان المرتفعِ الّذي تظنّ أنَّه نَجاؤُكَ لا يعلوه السَّيل: النَّجْوَةُ والنَجاةُ[3]. ومنه قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً﴾ [يونس: 92] قال جماعةٌ: معناه نُلقيك على نجوةٍ من

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18/ 95، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 218، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 606.

(2) الزبيدي، تاج العروس: (نجو)، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 23/ 130.

(3) الجوهري، الصحاح: (نجا).

الأرض. وهي ما ارتفعَ منها[1]. فيُفهَم من هذا أنَّ التعبير بالإنجاءِ هو أبلغُ ما يُعبَّر به في هذا المقام؛ لأنه يعني التخليصَ الكاملَ من هذا الهلاك، حتى لكأنَّ المنجَيْن قد حُيِّدوا في مكانٍ مرتفعٍ بعيدٍ عن محلِّ التدمير والإهلاك.

سرُّ التعبير بالإجمال بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

الإجمالُ والتفصيل من دقائق التنزيل

في هذه الآية اكتفى بجعلِ المتعلَّق ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ في حين جعل في سورة هود المتعلَّق صالحًا ﷺ وعطف عليه الّذين آمنوا فقال: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [هود: 66]. والجواب عن هذا أنّه اكتفى في النّمل بذكر ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ باعتبار المشاركةِ في الإيمان، أي: لما كان قومُه مشاركين له في أصل الإيمان قيل: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولمّا كان صالحٌ أصلًا في الإيمان قيل في آية هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [هود: 66][2]. كما أنَّ في سورة هود لم تشتملِ القصةُ على المكر الإلهيِّ فجاء التفصيلُ بين صالح ﷺ والمؤمنين، وهنا كان المغزى بيانَ حقيقة المكر الإلهيِّ الشّامل لعقوبة الكافرين وإنجاءِ المؤمنين دونَ التفصيل بين أفراد أهل الإيمان.

بلاغةُ التعبير بجملة الصّلة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ دون المؤمنين:

تأشيرُ العلّة في الإنجاء بيانٌ لحقيقة الدّواء

عدلَ هنا عن التعبير بـ(المؤمنين) إلى التعبير بجملة الصّلة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ للتنبيهِ على سببِ إنجائهم المذكور في حيِّز الصّلة، وهو كونهم قد تحقَّقوا بالإيمان وحافظوا على التقوى، فـ "التَّعْبير بالإيمان والاتقاء إشارَةٌ إلَى علَّة الإنجاء بحسب مُقتضى الوعد"[3]. ولا يقالُ: إنَّ (المؤمنين) مشتقٌّ أيضًا فيكون فيه إشارةٌ إلى تعليلِ حُكم الإنجاء لما اشتهرَ من أنَّ تعليق الحكم بالمشتقِّ يُؤذن

(1) ابن عطية، المحرر الوجيز: 3/ 142.
(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 14/ 415.
(3) ابن التمجيد، حاشية ابن التمجيد مع حاشية القونوي: 14/ 416.

بعلّيَّة المدخل فيه وهو الإيمان؛ لأن (المؤمن) لما غلَب استعماله شعارًا لأفراد بعينهم صار مُنسلخًا عن معنى الحدوث، كما أنَّ التعبيرَ بالصِّلة المشتملة على الفعل الماضي يفيد أنَّ الإيمان كان صفةً ماضية فيهم واستمرّوا على القيام بمضامينها بخلاف دلالة اسم الفاعل (المؤمنين).

سر التعبير بالإيمان في ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾:

عبَّر بالإيمان دونَ الإسلام؛ لكونِ الإيمان هو الأصلَ والأساسَ الّذي ينبني عليه الإسلامُ والشعائر الظاهرة، وعلى قاعدة اشتمالِ أحدهما على الآخر عندَ الانفراد، والتفريقِ بينهما عند الاجتماع، كالحال في لفظي (الفقير والمسكين)، فإن الإسلام متضمَّن هنا في الإيمان.

الإيمانُ يستلزم الإسلامَ بلا عكس

سر التعبير بالتقوى بعد الإيمان مادّةً وصيغةً:

ذكر التقوى بعد الإيمان في قوله: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ لكونها الترجمة الحقيقيّةَ الدالّة على تمكُّن الإيمان في القلب، فالإيمانُ ما وقرَ في القلب وصدَّقه العمل، والتقوى خشيةٌ من الله تبعثُ على اجتناب المنهيّات وفعل المأمورات، فيبني المتَّقي بذلك حصنًا يَقيه سخَطَ الله وغضبَه. ويُلحظ أنّه عبَّر في جانب الإيمان بالماضي، وفي جانب التقوى بالمضارع، فقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ وذلك لأنَّ الإيمان عقدُ القلب الجازم فهو حاصلٌ دفعةً واحدة، وأما التقوى فهي متجدّدةٌ بتجدُّد أسباب الأمر والنهي واختلاف الأعمال والأزمان[1]، وهذا فضلًا عمّا في التعبير عن التقوى بصيغة المضارع من مدحٍ لهم "بتصوير حالهم في تقواهم"[2].

العلاقاتُ بين المفاهيم يكشف عنها البيانُ القرآنيُّ الفريد

دلالة التعبير بالفعل ﴿وَكَانُواْ﴾:

أوردَ فعلُ (الكون) في الكلام، فقيل: ﴿وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾؛ للدلالة

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 13/ 11.
(2) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 10/ 5464.

على أنهم مُتمكِّنون من التقوى، وأنَّها ملازمةٌ لهم ملازمةَ السَّجايا والطِّباع[1]، فقد كانت معهم في الماضي لم تُفارقهم فيه، أخذًا من صيغة الماضي ﴿وَكَانُواْ﴾، ثمَّ إنها حاضرةٌ مستمرّة معهم ومتجدّدة أخذًا من صيغة المضارع ﴿يَتَّقُونَ﴾[2]، فهي ملازمةٌ لهم دائمًا على سبيل الاستغراق الزمنيّ، توقظهم وتنبِّههم عند كلّ ما يخافُ وقوعُه من المعاصي أوْ إهمالُه من الطّاعات.

ملازمة التقوى شعارُ المؤمنين الصّادقين

دلالةُ حذف متعلَّق ﴿يَتَّقُونَ﴾:

حُذف متعلَّق ﴿يَتَّقُونَ﴾ اختصارًا للعلم به، أي: ﴿يَتَّقُونَ﴾ اللّه، بتجنُّب الشرك والمعاصي، وبتحقيق الإيمان باللّه واتّباع الرُّسُل، ويحتملُ إرادةَ العموم بحذفِ المتعلّق، فيتّقون اللّه تعالى ومعصيتَه وكلَّ ما يُؤدّي إلى البُعد عن طريقه العظيم. كما يحتملُ أن يكون الفعلان ﴿ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ المتعدّيان منزلينِ منزلةَ الفعل اللّازم، ويكون المرادُ الّذين وُجِد منهم الإيمانُ والتقوى وتحقّقا فيهم على سبيلِ الرُّسوخ والدّوام.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 14/ 180، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 287.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 291، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 11/ 218.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»